

المحاضرة الحادية عشر : العلاج الاسري البنيوي

العلاج الأسري البنيوي (Structural Family Therapy) هو نموذج تأسس على يد سالفادور مينوكسين، ويركز على الهيكل الداخلي للأسرة كمنظومة متكاملة تتحكم في سلوك الأفراد. يربط النموذج بين بنية الأسرة وسلوك أفرادها، ويعتبر أن أي خلل في البنية يؤدي إلى مشكلات نفسية وسلوكية. الهدف الرئيسي هو إعادة تنظيم العلاقات وتحقيق التوازن بين الأنظمة الفرعية (زوجية، أبوية، أطفال) لضمان تفاعل صحي ومرن.

أولاً: الجذور التاريخية وتطور العلاج الأسري البنيوي

العلاج البنيوي ظهر في ستينيات القرن العشرين متأثراً بمدرسة بالو ألتو للتواصل الإنساني، حيث ركز على دراسة التفاعل الأسري كوحدة تحليل، بدل التركيز على الفرد فقط. تجربة مينوكسين العملية مع الأسر التي تعاني من مشاكل الأطفال والصراعات الزوجية مكنت من صياغة نموذج عملي قائم على الملاحظة المباشرة للأنماط التفاعلية وإعادة هيكلتها. وقد ساهمت هذه الخبرة في تطوير تقنيات مثل المناورات الهيكلية وتمثيل الأنظمة الفرعية لإظهار العلاقات بشكل واضح داخل الجلسة.

ثانياً: الأسس النظرية للعلاج البنيوي

1. **النسق الأسري كأساس**: الأسرة ليست مجرد مجموعة أفراد، بل نسق مترابط يؤثر فيه كل فرد على الآخر. يتيح هذا الأساس فهم كيف تساهم الأنماط التفاعلية في استمرار المشكلات.
2. **البنية كأساس لفهم المشكلة**: سلوك الأفراد مرتبط بمكانهم في البنية؛ فقد يؤدي اختلال الحدود أو التحالفات إلى صراعات مستمرة أو أعراض مرضية.
3. **الحدود الواضحة والمرنة**: الحدود تحمي الأنظمة الفرعية من التداخل المفرط أو الانفصال، مثل حماية دور الأب عن دور الأطفال، أو الحفاظ على استقلالية الزوجين داخل الأسرة.
4. **التحالفات والهيمنة**: وجود تحالفات غير صحية، مثل تحالف أحد الوالدين مع طفل ضد الآخر، يخلق اختلالاً في التوازن ويعزز استمرار المشكلات.
5. **التركيز على الحاضر**: التفاعل الحالي بين الأعضاء هو المفتاح لفهم المشكلات؛ لذلك تركز التدخلات على ما يحدث في الجلسة الآن لإحداث تغيير ملموس.

ثالثاً: المفاهيم المركزية في العلاج البنيوي

من أهم المفاهيم المركزية التي يقوم عليها العلاج الاسري البنيوي هي

- **البنية الأسرية (Family Structure)**: نمط العلاقات، توزيع السلطة، الأدوار والمسؤوليات. تحليل البنية يحدد نقاط القوة والضعف داخل الأسرة. مثال سريري: تحديد أن الطفل يتلقى توجيهاً مزدوجاً من الوالدين المتناقضين، والمعالج يوضح للأبوين ضرورة تنسيق التعليمات.
- **الحدود (Boundaries)**: تفصل بين الأنظمة الفرعية، مثل الزوجية والأبوية والأطفال. تحدد ما هو مسموح وما هو غير مسموح لكل عضو. مثال سريري: تعليم الأب كيفية التفاعل مع الأطفال دون تجاوز دور الأم، لتقوية الحدود.

- **الأنظمة الفرعية (Subsystems):** مجموعات صغيرة داخل الأسرة لها وظائف محددة، فهمها ضروري لمعالجة أي خلل. مثال سريري: اكتشاف أن الأشقاء الأصغر يتبعون أحد الأخوة الأكبر في القرارات، والمعالج يقوم بتعديل الدور.
- **التحالفات والتوازن النسقي (Alliances and Coalitions):** الروابط بين أعضاء الأسرة التي قد تؤدي إلى صراعات أو تعزيز توازن النسق، وهي مهمة لفهم الصراعات الداخلية. مثال سريري: إعادة توزيع السلطة بين الزوجين لتقليل صراع السيطرة.
- **الدور (Role):** كل فرد يؤدي وظيفة ضمن البنية، وفهم هذه الأدوار يساعد المعالج على تعديل التفاعل بما يخدم الأسرة. مثال سريري: تدريب الأم على السماح للأطفال باتخاذ قرارات بسيطة لتطوير الاستقلالية.
- **المقاومة والتكيف (Resistance and Adaptation):** ردود فعل الأسرة تجاه التغيير، وفهمها ضروري لتطبيق التدخلات دون زيادة الصراع. مثال سريري: استخدام تدخلات غير مباشرة لمواجهة مقاومة الأب للتدخل.

رابعًا: أهداف العلاج الأسري البنيوي

- إعادة تنظيم البنية: تعديل توزيع الأدوار وتحسين التفاعل بين الأعضاء.
- ضبط الحدود: حماية الأنظمة الفرعية ومنع التداخل المفرط أو الانعزال.
- تحقيق التوازن في التحالفات: منع التحالفات غير الصحية من التأثير على القرارات الأسرية.
- تعزيز الأدوار الفردية: تمكين كل عضو من أداء دوره بشكل صحي ومتوازن.
- تمكين الأسرة للتكيف المستقبلي: تعزيز المرونة والقدرة على مواجهة تحديات الحياة دون اختلال البنية.

خامسًا: دور المعالج في العلاج البنيوي

المعالج هو موجه ومراقب نشط يقوم بـ:

- دراسة البنية وتحديد الأنظمة الفرعية والحدود والتحالفات.
- استخدام مناورات هيكلية لإعادة تنظيم العلاقات داخل الجلسة.
- تعديل الحدود أو التحالفات غير الصحية بشكل تدريجي.
- إعادة الصياغة البنيوية للمشكلات لجعل الأسرة ترى العلاقة بين البنية والسلوكيات.
- تحفيز الأسرة على تجربة سلوكيات جديدة يمكن أن تنعكس على حياتهم اليومية.

سادسًا: تقنيات العلاج البنيوي

1. **المناورات الهيكلية (Structural Maneuvers):** تعديل مواقع الأعضاء أو ترتيبهم لإظهار العلاقات الداخلية مثال سريري: إعادة جلوس الأب والأم لإظهار التوازن أو عدمه في السلطة..
2. **تمثيل الأنظمة الفرعية (Enactment):** طلب من الأسرة إعادة تمثيل موقف حقيقي لفهم الأنماط.
3. **تقوية الحدود (Boundary Making):** تعزيز أو تعديل الحدود بين الأنظمة الفرعية. مثال سريري: طلب من الأطفال تمثيل كيفية اتخاذ قرار جماعي لمعرفة نمط التفاعل مثال سريري: تعليم الأم كيفية منح الأطفال مساحة للعب دون تدخلها.
4. **إعادة الصياغة البنيوية (Structural Reframing):** تقديم المشكلة بطريقة توضح الديناميات البنيوية. مثال سريري: إعادة تفسير سلوك الطفل العدواني كاستجابة لموقف زوجي متوتر.

5. **تعديل التحالفات (Unbalancing):** إدخال تغييرات مؤقتة لإعادة توزيع القوة داخل الأسرة. مثال سريري: إقناع الأم بالاعتماد على الأب في اتخاذ قرارات معينة لتعديل التحالف ضد الأب.

سابعاً: فهم الأعراض والتدخلات العملية

- **فهم الأعراض:** الأعراض النفسية تُفهم على أنها نتيجة اختلال البنية، مثل السلوك العدواني أو الانسحابي عند الأطفال، أو الصراعات الزوجية المتكررة.
- **التدخلات العملية:** المعالج يكسر النمط التفاعلي السلبي، يغير التحالفات، يوجّه الأسرة لتعديل استجاباتها، ويعيد صياغة المشكلة لتوضيح دور كل عضو في استمرارها.

ثامناً: مجالات التطبيق

- مشكلات الأطفال والمراهقين: سلوكيات عدوانية، انسحاب، أو اضطرابات الانتباه.
- صراعات زوجية: عدم التواصل، نزاعات السلطة أو التباعد العاطفي.
- اضطرابات الأكل أو السلوكيات الشاذة.
- أسر ذات بنية مختلة أو صراعات داخلية عالية.
- دعم الأسر في مواجهة التغيرات الحياتية أو الطوارئ.

تاسعاً: حدود وانتقادات العلاج البنيوي

- التركيز على البنية قد يقلل من الاهتمام بالعوامل النفسية الداخلية للأفراد.
- التدخل المباشر قد يثير مقاومة أو توتر داخل الأسرة.
- يتطلب مهارة عالية وقدرة على قراءة الديناميات الأسرية بدقة.

العلاج الأسري البنيوي نموذج عملي وفعال لتحليل المشكلات الأسرية، يركّز على **البنية والأنظمة الفرعية والتحالفات**، ويوفر أدوات إكلينيكية قوية للأخصائي النفسي لتحقيق التغيير المستدام في التفاعلات الأسرية.

Minuchin, S. (1974). *Families & family therapy*. Harvard University Press.

Minuchin, S., & Fishman, H. (1981). *Family therapy techniques*. Harvard University Press.

Nichols, M. P., & Davis, S. D. (2020). *Family therapy: Concepts and methods* (12th ed.). Pearson.

Goldenberg, H., & Goldenberg, I. (2021). *Family therapy: An overview* (10th ed.). Cengage Learning.